

# إرتريا أرض البحر

## الحلقة الثالثة

### " لعلة رصاصات البدء "

بقلم: الأمين محمد سعيد



(1)

في الفترة التي كان فيها الامبراطور هيلي سيلاسي يخطط لإجهاض العلاقة الفيدرالية القائمة بين ارتريا واثيوبيا، اندلعت اعمال وتعايير الرفض والتملل، سواء تجاه الوضع السياسي الارتري الزاهن، او تجاه العلاقة القسرية التي ربطت ارتريا باثيوبيا، وكل ذلك وفقا للمعاني المختلفة والمتضادة السياسية، الامنية، الاقتصادية والاجتماعية.

وفي نهاية الستينات كانت تلك العوامل والتعايير، ووفقا لتضارب وانسجام المواقف السياسية لمختلف الاطراف السياسية، تأخذ العديد من الاشكال، فالبعض من تلك الاشكال اعتمد وبدافع سياسي على تبنى ماكان يطرح من قبل المجموعات والاحزاب الراضة للوحدة بين ارتريا واثيوبيا، وبعضها وبدافع سياسي ايضا اعتمد على مفاهيم قبول الوحدة الارترية الاثيوبية، وآخر وبدافع الثأر وإثارة النعرات اعتمد على تغذية الخلافات القبائلية مثل "صراع التجري والشماقلي"، او على واقع الانقسام الاقليمي والطائفي مثل "المرتفعات والمنخفضات" و "الاسلام والمسيحية" واصبح الكل كما يقال يغني على ليلاه وبطريقته الخاصة.

في مثل هكذا جو سياسي مشحون بالكراهية المتبادلة بين مختلف الاطراف سواء كانت ارترية - ارترية، ام ارترية - اثيوبية استمرت اعمال النهب والسلب وحتى "القتل على الهوية"، في كثير من الاحيان وفي العديد من المناطق الارترية، وبصورة خاصة في مناطق غرب ارتريا. وتفتقت ذهنية العديد من المندفعين

لتحقيق المصالح الذاتية والطامحين لها وحتى المتآمرين على الوطن، الى المطالبة بتشكيل فرق قتالية للدفاع عن الذات، والعرض والمال، امام هجمات وتعديات عصابات قطاع الطرق والتي غالبا ماكانت تمول من قبل نظام الامبراطور هيلي سيلاسي.

كما طالب بعض من الذين عينتهم السلطات الاثيوبية للعمل كمفتشين ومديرين فيما عرف "بالمناطق المضطربة" ، خاصة مناطق بارنتو وتسني واعالي القاش، بإستخدام وتكوين مليشيات خاصة بهم من بعض ابناء الكوناما والباريا والبنبي عامر لمواجهة اعمال النهب والسلب.

وتعالقت اصوات بعض من مسؤولي تلك المناطق، وعلى رأسهم مدير مديرية اغوردات (1) ومدير منطقة بارنتو ومدير ومفتش منطقة تسني، مطالبة بإستخدام بعضا من ابناء تلك المناطق المؤثرين لمواجهة ازدياد اعمال النهب والسلب، وكان السيد حامد ادريس عواتي، الذي كان ولفترة طويلة يعمل كأحد موظفي السلطات البريطانية المنوطة بهم القيام بتوفير الامن والاستقرار في تلك المناطق من ابرز المرشحين للقيام بتلك المهمة.

إلا ان الامور لم تسير وفقا لما خطط لها، فسرعان ما رفض عواتي ان يكون بصورة او اخرى مطية بأيدي من يخدمون السلطات الاستعمارية الاثيوبية، دون ان يقلل من امكانية مواجهة عصابات الشفتا (1) الذين كانوا يدمون في العادة من قبل نظام الامبراطور هيلي سيلاسي وخدمه المأجورين الذين عملوا في مختلف الادارات البريطانية والفيدرالية.

والواقع فقد حاولت السلطات الاستعمارية الاثيوبية، خاصة بعد تزايد مخاوفها من استمرار حالات النهب والتمرد على السلطات المحلية، الاتصال ببعض الشخصيات طلبا للمشورة والمساعدة. وما ان انتصف عام 1961م حتى قامت بالاتصال عن طريق مدير مديرية تسني بالسيد حامد ادريس عواتي الذي كان منعكفا في فلاحه ارضه في منطقة قرست. الا ان مسعاها لم يؤدي أكله، اذ ان عواتي رفض طلب المشاركة في خدمة السلطات الاثيوبية، تحت حجة ان اثيوبيا ومن قبلها الادارة الاستعمارية البريطانية، لم يتجاوبا مع مطالبه التي تمثلت في السماح له في الدفاع عن اهله وابناء منطقتة الذين تعرضوا لنهب وسطوة قطاع الطرق، والثأر لهم ولنفسه.

لم تؤدي محاولات المسؤولين المحليين في منطقة تسني والقاش الى اي نتائج تخدم السلطات الاستعمارية الاثيوبية، بل ازداد التباعد، اذ كان عواتي يصر على معاقبة مسببي جرائم النهب والسلب، خاصة تلك التي ارتكبت بحق اهله، بينما كانت السلطات الاثيوبية والعديد من المتعاطفين معها، يرون بان عواتي يشكل تهديدا مباشرا للمصالح الاثيوبية العليا.

---

(1) كان مدير مديرية اغوردات وفقا لروايات مختلف مصادر ذلك الوقت، هو شقيق السيد حسنو وزير العدل في العهد الفيدرالي.  
(1) الشفتا تعني باللغة المحلية عصابات قطاع الطرق، وكان هذا التعبير مشاعا منذ عهد الاستعمار الايطالي.

ومن ناحية ثانية وبناء على نصيحة سابقة للإدارة الاستعمارية البريطانية، كانت السلطات الاستعمارية الاثيوبية ترى وجود امكانية الاستفادة من عواتي واستقلال عدائه الصريح لعصابات الشفتا الذين ما فتئوا يترصون به وبممتلكاته، الا ان ذلك لم يؤدي الى اي نتيجة تذكر.

ادرك حامد عواتي بان لا مؤمن له من الاثيوبيين ودسائس المتعاونين معهم، حتى لو عمل على تحقيق ما طلب منه. فأختار ان لا يسلك طريق العودة الى اثيوبيا. وبدلا من ذلك فضل ان يبحث له عن مخرج لمواجهة المترصين به من الارتريين والسلطات الاستعمارية الاثيوبية ، خاصة عندما علم بظهور تنظيم ارتري يتبنى ل العسكري، عرف باسم حركة تحرير ارتريا.

وما ان اعلن في سبتمبر 1961م عن ظهور تنظيم ارتري مسلح، وهو جبهة التحرير الارترية، ومن قبله تنظيم حركة تحرير ارتريا، حتى شعر العديد من ابناء ارتريا، بان تحقيق استقلال ارتريا لم يعد مطلبا يصعب تحقيقه. بل كان الكثيرون، خاصة في مدن السودان، يستبشرون خيرا بظهور حركة سياسية مسلحة في ارتريا.

وذات مساء، وبينما كان ادريس محمد صالح وصديقه محجوب الجعلي يتبادلون اطراف الحديث، وهم يتناولون اكواب الشاي المطروحة امامهم، بادر محجوب قائلا:-

- ماهي حقيقة الاخبار المنتشرة خلال اليومين الماضيتين والمتعلقة بظهور مجموعات ارترية مسلحة في منطقة بركة. انني ارى بان هناك تحركا ما في اوساط الارتريين، والاحظ بان بعضا منهم وبصورة متعمدة، يتهامون ويتحدثون دون ان يثيروا جلبه، وكأنهم يخشون ان لا يسمعون احد.

بعد برهة رد ادريس قائلا:-

- لا اخفي عليك، فقد التقيت يوم امس بالاخ احمد سالم، وهو كما تعرف احد الجنود العاملين في الاورطة الشرقية للجيش السوداني، وعضوا نشطا في حركة تحرير ارتريا...

ودون ان يكمل قاطعه محجوب الجعلي قائلا:-

- وماذا حمل لنا انشاء الله الأخ احمد من اخبار سارة. أمل ان تكون اخبار تريحنا.

تناول ادريس الموضوع مجددا ليقول:-

- اخبرني احمد بان الاوضاع في ارتريا تسير بصورة مرضية، وان الاثيوبيون منزعجون تماما للاخبار التي تتحدث عن وجود شخصية ارترية مرموقة تسعى لقيادة ل المسلح ضد اثيوبيا.

كان محجوب الجعلي متسرا كعادته، ودون ان يكمل ادريس حديثه قاطعه قائلا:-

- ومن هي تلك الشخصية المهمة او المرموقة التي التحقت او تريد ان تلتحق بل المسلح؟.

اراد ادريس ان يمالئ محجوب الجعلي فقال:-

- علمت بان تلك الشخصية تعرف باسم حامد ادريس عواتي، وهو احد الاعضاء البارزين في حركة تحرير ارتريا في فرع اغوردات. وقد عمل في العديد من المواقع الحكومية سواء في العهدين

الاستعماريين الايطالي والبريطاني، او حتى في العهد الفيدرالي. وقد كان له دور بارز في التصدي لقطاع طرق عصابات التجري والولقايب، وانه يصرح باستمرار لكل من يلتقي به، بان الاثيوبيين لا يفهمون سوى لغة العنف... واننا لا يمكن ان ننجح في الانتصار عليهم الا باستخدام العنف.

تحمس محجوب الجعلي واراد معرفة المزيد فقال:-

- برب العزة، كيف يمكن معرفة هذه الشخصية، خاصة حسب ما يقال بانها شخصية معروفة كانت تواجه عصابات قطاع الطرق في منطقة بركة؟.

تدخل ادريس ليقول:-

- علمت من احمد سالم بان هناك مجموعة من قيادة حركة تحرير ارتريا انتت البارحة الي كسلا عليها تجد او تتقصى الاخبار عن حامد عواتي.

واضاف قائلا ومحجوب الجعلي منتظرا سماع المزيد:-

- ان المجموعة القيادية لحركة تحرير ارتريا لم تتمكن حتى الآن من التأكيد على التحاق حامد عواتي بتنظيم جبهة التحرير الارترية، الذي بدأ اعضاءها يجوبون منطقة بركة. فأقرت على ارسال بعض الاعضاء الى مدينة اغوردات للتأكد من حقيقة ما يقال ورفع تقرير عن ذلك.

تدخل حجوب الجعلي وبادر قائلا:-

- وماذا بعد؟

رد عليه ادريس على عجل :-

- اكد لي الاخ احمد سالم بان قيادة حركة تحرير ارتريا تبذل جهودا جبارة للحصول على السلاح، حتى وان تم شراؤه بأعلى الاثمان.

واضاف قائلا:-

- كما اخبرني ايضا بان قيادة حركة تحرير ارتريا تقوم بنشاطات مكثفة للاستيلاء على اسلحة الشرطة الارترية في مختلف المدن الارترية. وهي توعدز لأعضائها ببذل الجهد للحصول على السلاح باي ثمن، سواء عبر شرائه من مجندي الجيش السوداني، او حتى اذا اقتضى الامر سرقة من مخازن الشرطة الارترية. كما ان بعضا من اعضاء الحركة المتواجدين في مدن كرن واغوردات ونقفة وبورت سودان يبذلون الجهد للحصول على السلاح من السودان وتهريبه الى ارتريا.

تدخل محجوب الجعلي ليقول:-

- هناك اشاعات منتشرة في سوق هيكوته (1) في مدينة كسلا تفيد بان هناك نفرا من الشباب يحملون السلاح قد شوهدوا وهم يجوبون منطقة قرست.

رد ادريس قائلا:-

- نعم لقد اخبرني احمد ايضا بان هناك بعض الشباب ومن ضمنهم حامد ادريس عواتي يجوبون منطقة قرست وخور فانكو. وانهم مسلحون ببعض البنادق.

واضاف:-

- كما ان هناك معلومات غير مؤكدة تفيد بان هناك بعض الشخصيات من امثال عواتي محمد فايد وكبوب حجاج يرافقون حامد عواتي في طوافه في المنطقة.

ودع محجوب الجعلي زميله وصديقه ادريس محمد صالح، متمنيا له مساء سعيدا وليلا آمنا. واتفقوا على اللقاء يوم غد كالعادة، وفي نفس الموعد اي الرابعة مساء، وفي نفس مكانهما المفضل في مقهى محجوب الجعلي.

---

(1) سوق هيكوته هو سوق شعبي يباع فيه كل شئ من المواد الغذائية الى الملابس، الى العطور واواني الزينة، ويقول البعض تباع فيه ايضا بقايا اسلحة بعض الفارين من الجيش السوداني او الشرطة الإترية.

## (2)

تعددت مشاغل ادريس، فهو من ناحية مهموم باوضاع وتطورات البلاد، ومن ناحية يبذل الجهد للحصول على عمل افضل يمكنه من توفير لقمة عيشه. وعلى الرغم من ذلك فقد كان قنوعا بما يتحصل عليه من دخل جراء عمليات السمسة التي يقوم بها في سوق البهائم. فهو منذ الصباح الباكر يتوجه الى السوق عله يجد شخص يحتاج المساعدة والارشاد لشراء خروف او خروفين ويأخذ هو نصيبه من الدلالة.

بالاضافة الى ذلك فقد كان الهم يأكل قلبه نتيجة لانشغاله وقلقه على مصير ومستقبل عائلته، وبصفة خاصة على ابنه منصور، الذي شارف على الثانية عشر ربيعا، وهو ر المناسب لإجراء عملية ختان الذكور وفقا لعادات وتقاليد معظم سكان المنخفضات الشرقية لارتريا. وذات مساء شاهد صديقه محبوب الجعلي واقفا امامه بصورة مفاجئة وهو يقول بصوته الجهوري:-

- خير يا ادريس مالي اراك مهموما ماذا حدث؟ هل الأهل بخير...؟

ادرك ادريس ما اعترى زميله فقال:-

- لأبأس، فالاوضاع كما هي ولاجديد تحت الشمس كما يقول الشعراء!

فقال محبوب:-

- اراك اليوم متيما بالشعراء، فلماذا لا تسمعنا مقطعا او بيتا من قصائدك بلغة التجري التي ارتاح

لسماعها؟

ابتسم ادريس واراد مجارة زميله محبوب فقال:-

- اللقاء الشعر له اوقات او مناسبات، وهو كما تعلم لا يمكن الولوج فيه إلا في حالة سيطرة المزاج

الرائق على النفس، كما يقول اخوتنا ابناء الجعل.

إستحلى محبوب الجعلي ماقاله ادريس واستلطفه، ومع ذلك استدرك سريعا وقرر اخراج زميله من حالة

الكآبة التي اعترته فقال:-

- لقد سألتك عما اصابك، ولماذا يسيطر عليك الهم ونحن في هذا اليوم الممطر.

رد ادريس بعد ان ادرك بان محبوب سوف لن يتركه على حاله حتى يبلغ مراده ويسمع ما يعجبه،

فقال:-

- كما قلت لك فالأمور عادية، إلا انني وهذا شئ طبيعي احس اليوم بقلق يمتد من الصباح حول

مستقبل أسرتي، مع ان مصيرهم مرتبط بارادة الخالق عز وجل، ولا اعتراض لي على ذلك. لكن

مايشغلني حقيقة هو ان ابني منصور بلغ الآن عامه الثاني عشر وهو الوقت المناسب للختان

وفقا لعاداتنا وتقاليدنا.

رد محبوب الجعلي قائلاً:-

- وما العيب في هذا، فهل أنت أول وآخر من يفكر بإجراء الختان لابنه؟ وما المانع في ان نقوم بإجراء المطلوب لختته؟.

تناول ادريس الموضوع الذي اخذ طابع الجد فقال:-

- لا عيب في ذلك، ومن الطبيعي ان نقوم بالواجب لختن منصور.

واضاف مسترسلاً:-

- لكن هناك بعض المصاعب التي تواجهني، فأنا لم اتمكن بعد من توفير كافة لوازم تطهير الولد، قالها بالطريقة السودانية.

رد محبوب وامارة الغضب بادية عليه قائلاً:-

- عيب يا ادريس كيف تقول هذا الكلام وكيف يستقيم الحال لما تقول؟ الا تعلم بأننا اصبحنا مكملين لبعضنا البعض بعد هذه العشرة الطويلة؟ ام انك تحس بتكلف عندما يتعلق الامر في ان يعاون احدنا الآخر؟ عليك الابتعاد من مثل هذا التفكير. فاذا كنت انت لا تستطيع ان تقوم بتوفير ما تتطلبه عملية ختان منصور، فأنا على اتم استعداد لتسديد كل شئ من المائة الى الألف. وعندما تنفج معك تقوم بتسديد ما عليك من دين.

وعلى الرغم من احساس ادريس بالحرج الا انه قال:-

- لا عليك يا محبوب، فأنا قد وفرت بعض المال لهكذا يوم. والذي اخشاه فقط هو ان لا يتوفر لي المال المطلوب.

رد محبوب على عجل وكأن الامور سوف تقلت من يديه قائلاً:-

- أنا لا يعنيني ما وفرته من مال، فهذا عائد اليك. إلا ان الذي يهمني هو ان اشارك ولو بمبلغ بسيط لإتمام تكاليف عملية الختان. اما ما تبقى من تكاليف فان بالإمكان الاستفاد منه في شراء ملابس اضافية جديدة لمنصور وباقي افراد العائلة، حتى تتمكن من الظهور بمظر يليق بك، وبالمناسبة الجيلة.

أرتاح ادريس لما سمعه وعلى الفور علق قائلاً:-

- كما تفضلت وقلت، فإننا دون شك نمالئ بعضنا البعض وهذه حقيقة لا يمكن ان ينكرها حتى...

قاطع محبوب الجعلي ليقول ساخرًا:-

- لا ينكرها حتى الغراب والجن الأزرق.

قهقه الصديقان، وبعد لحظة تنبه محبوب الجعلي فقال:-

- اعتقد بان هناك تشابه بين مراسيم الختان في ارتريا والسودان، وتحديدًا بين قبائل التجري في ارتريا والجعل في السودان، وذلك نسبة لتقاربهما او تشابههما في العادات والتقاليد. فحبذا لو شرحت لي عادات وماراسيم الختان خاصة بعد ان أقرينا على اجراء الختان على ابنتنا منصور.

تتنح ادريس كعادته عندما يريد ان يسرد شيئاً هاماً قائلاً:-

- للختان عندنا في ارتريا، وفي العديد من القبائل التي تسكن في المنخفضات الشرقية منها والغربية، اوجه تقارب وتشابه الى درجة لا يمكن فيه الفصل بين عادة متبعة هنا واخرى هناك. فالولد المراد خنته يمكن التعرف عليه عبر الطريقة التي يخلق بها. فإذا كان حليق الرأس كله فهذا يعنى بانه مختون، اما اذا به ضفيرة في وسط رأسه والتي تعرف بالقصة بلغة التجري<sup>(1)</sup> وتبقى معه الى بعد اجراء عملية الختان، فانه ليس بالولد المختون. وفي العادة، بإستثناء بعض الحالات، يتم ختان الذكور لدي قبائل التجري عندما يصلون الى سنة الثانية عشر او الثالثة او الرابعة عشر.

تدخل محبوب الجعلي سائلاً:-

- تتم عملية ختان الولد امام خطيبته حتى لا يعترضه الخوف والوجل، فكيف الحال عندكم؟

رد ادريس قائلاً:-

- نعم، ففي العادة يكون للولد خطيبة، او عريسة المستقبل. ووفقاً للتقاليد يتحتم على خطيبة الولد ان تكون حاضرة اثناء اجراء عملية الختان. وفي هذه الحالة يتطلب من الولد ان يكون رابط الجأش والظهور بمظهر الذي لا يحس بألم الختان، حتى لا يحتقر من خطيبته.

واضاف قائلاً:-

- قبل تحديد يوم اجراء الختان يقوم والد الابن بابلاغ اقرب اقرباءه، من اعمام واخوال، وكبار السن بانه قرر اجراء الختان لابنه في يوم كذا وشهر كذا، ويقدم لهم الدعوة لحضور المناسبة والدعاء للابن. ويحبذ في العادة ان تتم عملية الختان خاصة في مناطق المنخفضات الشرقية الارترية في موسم هطول الامطار، والذي يصادف من شهر نوفمبر وحتى مارس من كل عام، حيث يعم الخير كافة أجزاء تلك المناطق.

وما ان انهى ادريس كلامه حتى بادر محبوب الجعلي سائلاً:-

- كيف يتم تبليغ النساء؟ وكيف يقمن بالاستعدادات اللازمة لمثل هذا اليوم؟.

رد ادريس قائلاً:-

- ما ان يتم الاتفاق بين والدي الابن، حتى تشرع الام بابلاغ اقربائها واقرباء زوجها، ومن يعتبرون اصدقاء للأسرة من النساء، بيوم او موعد اجراء الختان. ومنذ ذلك تقوم الام بتجهيز المكان الذي سوف يرتاح فيه الولد بعد اجراء الختان، وتبدأ بشراء المواد الغذائية من حبوب الذرة، والبن، والسكر، والزنجبيل، والسمن الحبابي، والعسل وغيره، بالإضافة الى شراء بعض انواع العطور والبخور والصندل.

(1) ألقسة، بلغة التجري، تعني نوع من انواع الحلافة التي تجري لغير المختونين من الذكور.



واضاف قائلاً:-

- يقوم الاب ومعه بعض اخوته بغسل الولد، ويقدم له وجبة الفطور المكونة من عصيدة الدخن بالسمن والعسل وحليب الروب. وما ان يأتي الشخص المكلف بختن اولاد القرية، وهو في العادة احد المشائخ الذي يقوم بدور الامام في صلاة الجمع والاعياد، ويحظى باحترام الكل، حتى يبدأ بتلاوة آية من الذكر الحكيم، وما ان يفرغ منها حتى يقوم بإجراء عملية الختان للولد.

تدخل محجوب الجعلي وقال:-

- الحقيقة ومثلما توقعت، فان ماسمعته من شرح مسهب فيما يتعلق بختان الذكور في ارتريا لا يختلف عن الذي نعرفه في احدى قرى قبائل أبناء الجعل.

ارتاح ادريس للتشجيع الذي لقيه من زميله وصديقه محجوب الجعلي. وما هي سوى ايام حتى عاد مجددا لإثارة موضوع ختان ابنه منصور، وذلك بإخبار صديقه العزيز، بانه والسيدة زوجته أقرؤا على اجراء عملية الختان، وانه الآن بصدد اخبار اخوانه واصدقائه بموضوع الختان واليوم الذي سوف تتم فيه لية. وفي اليوم المحدد تقاطر الاقرباء والاصدقاء وعلى رأسهم محجوب الجعلي الذي قدم خروفين لذبحهما بهذه المناسبة السعيدة. كما قدم ايضا شيخ القرية المكلف بختن ادريس، وبدأت مراسيم الختان تنتالي وفقا لعادات وتقاليد اهل ادريس محمد صالح.

وما ان تمت عملية اجراء الختان حتى انطلقت زغاريد النسوة وتصفيق الرجال، وصيحات الاطفال الملتمين حول ادريس، الذي حاول الظهور بمظهر الشجاع، خاصة وان خطيبته كانت تجلس القرفصاء امامه وهي تشاهد عماية الختن لأول مرة في حياتها. ودون اي تعكير للأمر تمت عملية ختان منصور بسلاسة ويسر. وأخذت مختلف الهدايا بجانب ادعية المدعوين تنهال عليه.

وفي اليوم الثاني ووفقا للتقاليد والعادات ايضا قام منصور بزيارة اقرب المقربين له، وطلب اخذ رضائهم ودعواتهم له بالنجاح والتوفيق. ثم قلده احد اقربائه المسنين بحجر أسوميت وهو حجر كريم يعتقد بانه يبعد عين الحسود.

وهكذا انتهت مراسيم ختان منصور ادريس محمد صالح، ليتفق الصديقان كعادتهما للقاء في المستقبل القريب المنظور وهم بصحة وعافية، وأفترقا.

في منتصف شهر يوليو من عام 1960م تمكن بعض من طلبة ارتريا الذين كانوا يدرسون في بعض جامعات ومعاهد مصر<sup>(1)</sup> من عقد سلسلة من الاجتماعات فيما بينهم، وذلك بهدف دراسة الاوضاع والمستجدات في الوطن الارتري. وتمكنوا في النهاية من اختيار رئيس البرلمان الارتري السابق السيد ادريس محمد آدم رئيسا لتنظيمهم السياسي الذي اختاروا له اسم جبهة التحرير الارترية.

وفي نفس الوقت، وما ان اعلن عن قيام السيد حامد ادريس عواتي بالتمرد على السلطات الاستعمارية الاثيوبية، وتكثيف تحركاته ومعه نفر من رفاقه في سهول منطقة هيكوتة وتسني حتى انتشرت الاشاعات التي كانت تفيد، بان عواتي قد تمكن من الافلات من قوات الجيش الاثيوبي التي كانت تكثف من تواجدها في قرية قرست وضواحيها.

وكالعادة وبينما كان الزميلان ادريس محمد صالح ومحجوب الجعلي يتناولون مايفضلونه من قهوة الجبنة في قهوة الجعلي، وهم يتبادلون المعلومات والايخبار حول مختلف الاشاعات التي انتشرت في مدينة كسلا وضواحيها، شاهدا شخصا قادمًا اليهما. وبعد برهة تمكن ادريس من التعرف عليه، وبعد السلام والتحايا والاستفسار عن الاهل والمعارف والاصدقاء كما يفعل معظم ابناء ارتريا، التفت ادريس الى محجوب وقال:-

- اعرفك بالاخ حامد عمر منتاي وهو صديق قديم كان ولازال يعيش في السودان منذ اوائل الخمسينات، وهو يعمل الآن في تجارة مختلف المواد في منطقة الحدود ما بين مدن كسلا وتسني.

رد محجوب الجعلي التحية بمثلها وعلى الفور طلب للضيف كوبا من الشاي، وقدحا من ماء الزير البارد. التفت ادريس يمينة وبسرة وقال:-

- منذ متى وانت هنا. وماهي اخبار البلاد والعباد، وكيف يعيش اهلنا مابعد الحدود السودانية؟

ابتسم حامد منتاي وعلى الفور قال:-

- اشكر لكما لطفكما. اما بالنسبة للاخبار فهي كثيرة ومهمة ....

قاطع محجوب الجعلي كعادته عندما يريد معرفة الاخبار بصورة سريعة ودون تباطئ، واراد معرفة تفاصيل ما عند السيد منتاي فقال:-

- نحن على عجل من امرنا لمعرفة ما يجري في ارتريا. اذ اننا اصبحنا لا نفقه ما يجري حولنا ولم نعد نميز بين الحقيقة والخيال.

تدخل ادريس ليقول:-

(1) من ابرزهم السادة ادريس عثمان فلايدوس وهو احد خريجي كلية الحقوق - جامعة القاهرة، ومحمد صالح حمد وهو ايضا احد خريجي كلية الحقوق - جامعة القاهرة، وسعيد حسين احد طلبة جامعة الازهر وغيرهم.

- لا تتعجل يا محجوب، اترك الرجل يأخذ نفسه، ويتناول كوب الشاي الذي قدم له.

اصر محجوب قائلاً:-

- نحن وانا شخصيا لم نعد نحتمل الانتظار لمعرفة مايجري بالقرب منا، مشيرا بيده ناحية الاراضي الارترية.

تدخل حامد منتهي قائلاً:-

- لابس فقد علمت وانا في طريقي الى كسلا، بان احد السياسيين الموجودين في خارج ارتريا، واعتقد اذا لم تخني الذاكرة، وهو السيد ادريس محمد آدم قد ارسل رسالة لحامد ادريس عواتي يحثه فيها للالتحاق بالتنظيم الجديد الذي كونه في القاهرة والمعروف باسم جبهة التحرير الارترية.

وما ان سمع محجوب وادريس ما قاله حامد منتهي حتى بدت عليهم امارات الفرح العامر، وبعد ان اعترتهم الدهشة، اسرع ادريس قائلاً:-

- هل علمت عن ما قيل عن محتوى رسالة السيد ادريس محمد آدم؟

تناول حامد رشفة من كوب الشاي الذي امامه وقال بكل ثقة:-

- علمت ايضا بان السيد ادريس محمد آدم حث عواتي في رسالته الانضمام الى جبهة، واعنى بذلك جبهة تحرير ارتريا.

واضاف قائلاً:-

- علمت السلطات الاستعمارية الاثيوبية بمضمون الرسالة التي تناقلتها العديد من الألسن، فلم يكن لها من بد سوى ارسال بعض العناصر، المحسوبة على منطقة بركة، وعلى رأسهم السيدين عمر حسنو وعجيل عبدالرحمن، لاقناع حامد عواتي بالعودة الى قريته، وللتأكيد له بان السلطات الاثيوبية على استعداد لتنفيذ كل طلباته من مال وجاه.

تدخل محجوب الجعلي قائلاً:-

- وماذا كان رد عواتي؟

أجاب حامد قائلاً:-

- يبدو ان القوم لم يوقفوا في اقناع عواتي للعودة معهم الى اغردات. وبالتالي لم تتجح مهمتهم.

وعندما طرح ادريس السؤال التالي:-

- وماذا كان رد فعل السلطات الاثيوبية؟.

رد حامد قائلاً:-

- بعد ان ايقنت السلطات الاستعمارية الاثيوبية استحالة التأثير على عواتي ورفاقه، سمعنا بان العديد من قوات الجيش الاثيوبي المدججة بالسلاح قد توجهت لتعقب عواتي في منطقة أدال.

انتهر ادريس اهتمام محجوب الجعلي فقال:-

- سمعت قبل أسبوع تقريبا عن سماع العديد من المسافرين عن حدوث اطلاق نار كثيف في منطقة ادال. إلا انني لم أتأكد من مصدر ذلك الخبر، فعزيتة للاشاعات الضاربة اطنابها في مدينة كسلا.

بادر حامد منتاي للقول:-

- نعم لقد وقع اشتباك عنيف بين بعض وحدات القوات الاثيوبية وجماعة حامد ادريس عواتي في منطقة أدال. ويقال بان الاشتباكات استمرت لاكثر من خمسة ساعات خسر فيها الجانب الاثيوبي العديد من القتلى بجانب وجود العديد من الجرحى. كما تمكن عواتي من الانسحاب من ارض المعركة دون خسائر كبيرة.

كان حامد منتاي على عجل من امره، فطلب الأذن للانصراف.

انتشرت أخبار معركة أدال بصورة خرافية، بجانب انتشار العديد من الاخبار المؤكدة ولكن بصورة مبالغ فيها، مثل التحاق اعداد كبيرة تقدر بالمئات من منتسبي الجيش السوداني ذوى الاصول الارتية، وعلى رأسهم محمد ادريس حجاج، كيشا محمد كشيا، محمود ابوشنب وابراهيم محمد بهدوري وغيرهم الى المجموعة التي يقودها حامد ادريس عواتي في سهول بركة.

ولم تتوقف الاشاعات التي تحولت مع الايام الى هواجس وكوابيس تؤرق السلطات الاستعمارية الاثيوبية، وكنتيجة لذلك ازدادت عمليات القمع ومصادرة حقوق المواطنين تحت مبررات مواجهة عصابات قطاع الطرق، والخارجين على القانون، وتوالت صدور البلاغات الصادرة عن البوليس الارتري التي تطالب المواطنين بالإبلاغ عن اي تحركات مشبوهة تمس امن البلاد.

وذات مساء وبينما محجوب وادريس يتبادلان الاخبار ويتأكدان من حقيقة صحتها، قدم اليهما شخصا عرف نفسه بانه يدعى عبده فقوراي. وأكد لهما بانه احد المهتمين بنقل حقائق مايدور في ارتريا من احداث وتطورات.

لم يستغرب محجوب الجعلي على ما سمعه من عبده فقوراي، ففي تلك الفترات التي كانت تزداد فيه الاشاعات كان العديد من الناس يتجاهرون بمعرفة تطورات الاحداث، بل العديد منهم ايضا كانوا يحاولون الإيحاء وكأنهم هم الذين يصنعون الاحداث، ويعرفون بواطن الامور. فأراد ادريس اختبار الرجل فسأل قائلاً:-

- هناك اخبار عديدة تتحدث عن حامد ادريس عواتي وتحركاته والمعارك التي يخوضها ضد قوات البوليس، فما هي حقيقة ما يقال خاصة ما يتعلق بعواتي؟

رد الرجل قائلاً:-

- من الصحيح بان هناك العديد من الاشاعات حول عواتي وبطولاته. وما يهمني هو نقل الصورة الحقيقية عنه، حتى تتضح الامور ويبتعد الناس عن القيل والقال.

وأضاف قائلاً:-

- ان حامد ادريس عواتي هو من سكان قرية "أنتورة" من اعمال مركز بارنتو، وهو متوسط القائمة اذ لا يتجاوز طوله المتر وستون سنتمترا، ويبلغ من ر حوالي الخمسة وثلاثون عاما، وفي وجنتيه شلوح على هيئة 111 وهو من قبيلة الباريا، ومن المعتقد بان امه من قبيلة البني عامر. ذو لون قمحي فاتح، ويرتدي عادة اللباس التقليدي لاهل المنخفضات الارترية ويحمل وبإستمرار مسدسا وسيفا.

اطمئن ادريس وايضا صديقه محجوب، وما هي لحظات حتى ناولهما الرجل مجموعة من البلاغات الصادرة عن البوليس الارترى للاطلاع عليهما، وقد كانت تلك البلاغات توضح مدى تردي الاوضاع في مناطق تحركات حامد ادريس عواتي، جاء فيهما ما يفيد:-

- 1- "رجال البوليس يعتقلون الساعد الايمن للخارج عن القانون حامد عواتي : في امسية يوم الثلاثاء 26 سبتمبر 1961م اشتبكت وحدة من رجال البوليس لمكافحة العصابات التي كانت قد ارسلت من مقرها ب سمبل، اشتبكت هذه الوحدة البوليسية مع الخارجين عن القانون الذين يقودهم المدعو حامد ادريس عواتي، وقد تمكن رجال البوليس في هذا الاشتباك من اسر احد الخارجين عن القانون ويدعى بيرق نوراي من بيت معلا - بني عامر، وهو الساعد الايمن للمدعو حامد عواتي، وعثر رجال البوليس مع بيرق نوراي بندقية وذخيرة. هذا ولما كان الوقت ساعة الاشتباك ضد الخارجين عن القانون المذكورين ليلا وفي مكان كثيف فقد تمكن باقي افراد الخارجين عن القانون من الهرب تحت جنح الظلام. غير ان رجال البوليس اخذوا في تطويق المنطقة وفي البحث عن بقية الخارجين عن القانون.

ومما هو جدير بالذكر ان المدعو بيرق نوراي المعتقل قد ادلى الى رجال الامن ببيانات هامة للغاية تنير السبيل امام رجال الامن للقضاء على هذه الزمرة المارقة عن القانون."

- 2- "اشتباك دورية من رجال البوليس ببعض الخارجين عن القانون : في يوم الاحد الماضي 30 سبتمبر 1961م اغار بعض الخارجين عن القانون التابعين للمدعو حامد عواتي، اغاروا على مزرعة يملكها احد الاجانب في مكان يدعى "قور قوحي" التابع لمركز بارنتو. وبعد ان اتلف هؤلاء الخارجون عن القانون الاشجار فيها، وما ان ترامى الى مسامع رجال البوليس هذا النبا حتى خفوا الى مكان الحادث، الا ان الخارجين عن القانون فروا قبل وصول رجال الامن الى المكان المذكور واحتموا باحدى الغابات في مكان يدعى "قابت"، ولكن رجال الامن راحوا يبحثون عنهم، وما ان علم الخارجون عن القانون بان رجال البوليس كادوا ان يهتدوا الى مخبئهم حتى باغتوا رجال البوليس واطلقوا عليهم معا رصاصاتهم التي اصابت احداها رجل البوليس المدعو "آدم محمد" وكانت اصابته عميقة ففارق الحياة في حينه.

كما اصيب زملاؤه الاربعة باصابات غير خطيرة، ونقل الجميع الى المستشفى ودفن المتوفي.

هذا وقد اصاب رجال البوليس احد رجال العصابات ويدعى "محمد أيرا موسى" من عد ابراهيم - بني عامر - ناتاب. واسروه ومعه بندقية وخمسة واربعين رصاصة. هذا وقد ارسلت على الفور دورية من رجال البوليس لتعقب الهاربين من الخارجين عن القانون."

- 3- "نشاط رجال البوليس: إشتبكت دورية من رجال البوليس التابعين لمركز بارنتو بينما كانت تلاحق يوم الثلاثاء الماضي 24 أكتوبر 1961م الخارج عن القانون حامد ادريس عواتي وانصاره، اشتبكت بالقرب من "كيرو" معهم وتمكنت من اصابة واسر المدعو "عبد فريد" وعثرت معه على بندقية من طراز "منشر". كما تمكن ايضا رجال البوليس من العثور على بندقية حامد ادريس عواتي وثلاثة واربعين رصاصة. هذا وقد توفي المدعو عبد محمد فايد اثناء نقله الى "كيرو" ولازال رجال البوليس يقفون اثر الخارجين عن القانون الذين تمكنوا من الفرار."

- 4- "نشاط رجال البوليس في تعقب الخارجين عن القانون: إشتبكت دوريتين من رجال بوليس مكافحة نشاط الخارجين عن القانون، في الساعة السادسة من بعد ظهر امس 10/1/1962م مع جماعة من الخارجين عن القانون تتكون من خمسة عشر شخصا تابعين للخارج عن القانون حامد ادريس عواتي في منطقة تدعى "أوى القدم" تابعة لمركز كيرو. وقد تمكنت دوريتنا رجال البوليس من قتل الخارج عن القانون المدعو "إبراهيم محمد سيني" كما تمكنت ايضا دوريتنا رجال البوليس من القاء القبض على الآتية أسماؤهم بعد اصابتهم بالرصاص وهم:-

(1) صالح محمد حسب

(2) عثمان ادريس حاج

(3) موسى محمد موسى

هذا وقد توفي احد رجال البوليس في هذا الاشتباك ويدعى "صالح محمد" وهو تابع لبوليس مديرية اغوردات ولايزال رجال البوليس جادين في تعقب وملاحقة بقية افراد العصابات من الخارجين عن القانون."

- 5- "نشاط رجال الأمن : في يوم الأربعاء الماضي 4/4/1962م وبينما كانت دوريتان من رجال البوليس تؤديان مهمتهما اشتبكتا في مكان يعرف باسم "بيتاما" التابع لمركز تسني مع عصابة من الخارجين عن القانون مجهولة العدد تتبع الخارج عن القانون حامد ادريس عواتي، وفي هذا الاشتباك تمكنت سريتا البوليس من قتل اثنين من الخارجين عن القانون وهما المدعو "ابراهيم احمد محمد" و"علي دلاب"، وقد عثر مع المدعو "ابراهيم احمد محمد" على بندقية طويلة وسبعة وثلاثين رصاصة.

هذا وقد استشهد في ساحة الواجب في هذا الاشتباك البوليس "آدم حسن"، وهو من فرقة قيادة بوليس سمبل."

وما ان انهى الصديقان الاطلاع على البلاغات التي قدمت لديهما، حتى احسا بضرورة تقديم الشكر والامتنان للسيد عبده فقوراي، فلم يكن لهما سوى الشكر وأصررا على ان يذهب ضيفهما معهما الى المطعم المجاور لتناول طعام الغداء، خاصة وان الوقت قد شارف على الرابعة والنصف ما بعد الظهر. لكن الرجل اعتذر لهما وطلب منهما السماح له بالمغادرة، اذ انه على موعد هام مع شخص قادم اليه من ارتريا. وسرعان افترقا وذهب كل واحد منهم الى سبيله.

كان محبوب الجعلي مثله مثل العديد من اهل السودان محبا لأهله واسرته. فهو ومنذ ان توفيت زوجته وهي في ريعان شبابها تاركة له ابنه قاسم، مهموما بما سوف يؤول اليه مستقبل او مصير ابنه. وما ان بلغ قاسم مبلغ الرجال، اي بعد ان بلغ ربيعه العشرون، ازداد قلق محبوب وبدأ يفكر في كيفية ايجاد الزوجة الصالحة لابنه، لكي تقوم برعايته وتساعدته على مواجهة متطلبات الحياة.

وكان ادريس من جانبه يبدي تعاطفه الصادق تجاه صديقه محبوب الجعلي، وكان في كثير من الاحيان يتمني لو كانت له ابنة ليزوجها لابن محبوب. وذات مساء وكالعادة لاحظ ادريس شحوب وجه صديقه فبادره قائلاً:-

- ما بك الم اتركك يوم امس وانت في وضع حسن؟ ماذا حدث حتى يعمك الحزن؟.

ابتسم محبوب الجعلي، وحاول قدر المستطاع ان يظهر بالمتماذك، فرد ليقول:-

- لا شئ يا ادريس فأنا بخير.

لكن ادريس لم يرتاح ولم تعجبه عبارة لا شئ، وقال وهو مستنفرا:-

- كيف لا، وانت شاحب الوجه وكأن الطير في رأسك! ما بك، لماذا لا تفصح عما ما يدور بخلدك

حتى يجعل الله لنا ولك مخرجا؟.

تأثر محبوب، لأنه كان يدرك معزة واحترام صديقه ادريس. ولذلك لم يكن له من بد سوى مفاتحته، فقال:-

- في الحقيقة لم اكن ارغب في ان ازيد اعبائي عليك، فأنت يكفي ما لديك من مصائب. ومع ذلك

فان الواجب، خاصة وباعتبار انك احد اعز اصدقائي المقربين، يحتم علي ان اخبرك بانني لم

اذق طعم النوم يوم امس، اذ عاودني الهم وهاجس مستقبل ابني قاسم.

فهقه ادريس الى درجة التفات بعض الحاضرين اليه بصورة مستغربة، وسرعان ما قال:-

- وما العيب في ان تفكر او ان تكون مهموما في كيفية تحقيق مستقبل ابنك. فأنت لازلت تتمتع

بصحة جيدة، وقد قمت بالواجب واكثر تجاه قاسم. فقد بذلت الجهد في تربية ابنك تربية حسنة،

وكرست كل وقتك لتعليمه دون ان تلتفت الى نفسك.

واضاف قائلاً:-

- أحمد ربك الذي وهبك الصحة وهي اعلى شئ، وابنا بارا يقدر أباه وأصدقاء وأحباء أباه.

ارتاح محبوب الجعلي لما سمعه، واخذ يحس بأن ابواب الأمل انفتحت امامه، فقال:-

- نعم يا ادريس فأنت لست نعم الصديق وحسب بل انت نعم الاخ، ونعم من عرفته طيلة السنوات

الماضية من عمري. وانني لا اخفى عليك بان ما يشغل بالي هو تحقيق ماكنت اتمناه، وهو



ايضا ما كانت تتمناه والدة ابني وذلك بان اكون على قدر المستطاع للمساهمة في تشكيل حياة سعيدة وجادة لابني قاسم.

واضاف دون تحرج:-

- انني لم اتمتع بحياة عائلية مستقرة، فكما اخبرتك فإنني قد فقدت اغلى مخلوقة لي، كنت آمل منها ان تسعدني، وتهبني ما اجمل في الحياة وهي السعادة والحبور. لكن خاب املي بوفاتها. ففقدرة الخالق سبحانه وتعالى، وهذا لا اعترض لي عليه، كانت اقوى من كل شيء. فقد اختارها الله لان تكون في جنات نعيمه. ومن هنا فإنني لا اريد ولا اتصور ان يلحق بإبني ما لحق بي من مصيبة فقدان الزوجة. ومن هنا ايضا يأتي قلقي وهو اجسي.

رد ادريس:-

- انك احد المؤمنين بمشيئة الخالق. فقد كانت مشيئته ان تكون زوجتك وام ابنك بجانب بارئها. ومن الحق ان لا يكون لنا اعتراض على ذلك.

ساد الصمت لبرهة، فأسرع ادريس ليقول:-

- ان قاسم لم يعد قاصرا، وها هو قد تجاوز ر الافتراضي للزواج. فأنا انصح في عدم اضاءة الوقت. وعلينا بذل جهدنا للحصول على الفتاة المناسبة التي سوف تصبح شريكة حياة ابنا، حتى نساهم في خلق حياة هادئة وسعيدة للزوجين المقترضين.

لم يتردد محجوب الجعلي في الاسراع في الرد على صديقه ادريس، وفضل ان يعطي صورة عن تقاليد وعادات الزواج في العديد من القبائل السودانية، حتى يتمكن ادريس من استخلاص العبر والحكم منها فقال:-

- العادات السودانية في الحصول على زوجة سالحة، ليست بلية الصعبة او المعقدة. وقد فكرت مليا في إحدى بنات جارنا الاستاذ دفع الله العطية، فهي مناسبة بكل المقاييس وفوق هذا وذاك فهي جعلية مثلنا.

توقف محجوب الجعلي لبرهة، الا ان ادريس فضل التحدث قائلا:-

- لا عليك سوف تسير الامور بقدرة الخالق بصورة مرضية. ولا ينبغي ان تشغل بالك اكثر من اللازم. ولذلك فإنني اقترح ان نتوجه غدا، خاصة وانه يوم عطلة أسبوعية، الى الأخ دفع الله العطية ونبلغه بصورة رسمية باننا ننوي ان نخطب ابنته لابننا قاسم، وخير البر عاجله كما يقول الالهل في السودان.

لم يعترض محجوب الجعلي على الذهاب الى منزل جاره فهو يعرف ابنة جاره دفع الله وهي صغيرة لم تكن تتجاوز الرابعة او الخامسة من عمرها، وهي مناسبة سواء في عمرها او جمالها لابنه. واعتقد بان الامور سوف تسير على الكمال، خاصة وان علاقاته بجاره ممتازة، وهناك كمية من الود والارتياح بينهما،

وهم يهتمون ببعضهم البعض. كما انه اعتقد بان ابنه قاسم مهتم بالفتاة على الرغم من انه لا يملك الشجاعة للبوخ باعجابه وحبها لها.

وكان محجوب الجعلي يؤمن بان طلب الزواج من فتاة ما له اصول وترتيبات. اذ ان وما ان يقع الخيار على صاحبة النصيب، يتولى والد الراغب في الزواج، ابلاغ اهل الفتاة برغبة ابنه للاقتران بابنتهم على سنة الله ورسوله، ووفقا للعادات والتقاليد.

ما ان لاحظ ادريس توقف صديقه محجوب من مواصلة الحديث، اراد معرفة المزيد عن عادات وتقاليد الزواج في السودان فسأل قائلاً:-

- هل يوجد اختلاف بين ما يتم في الريف والمدن فيما يتعلق بالزواج؟

رد محجوب الجعلي قائلاً:-

- للزواج في السودان عادات وتقاليد متعددة، وقد اندثر بعضها نتيجة لابتعاد الناس عنها. لكن معظم تلك التقاليد والاعراف وايضا العادات لازالت باقية سواء في الريف ام الحضر. وقد كان التمسك بها مساعدا في تماسك النسيج الاجتماعي السوداني.

واضاف:-

- وما ان يتم الحصول على موافقة والد الفتاة، حتى تتوجه احدى قريبات طالب الزواج، يمكن ان تكون الأم او الأخت او الخالة او ة، الى والدة العروس لتطلبها بصورة رسمية، ثم تقدم بعض الاموال عربونا للموافقة والارتياح لوالدة العروس.

وبناء على الاتفاق بين ادريس ومحجوب الجعلي توجه الصديقان الى منزل والدة العروس، طالبين ابنته، فلم يكن من الأب سوى الموافقة دون اي تردد، ودون حتى ان يسأل باعطائه الفرصة لاستشارة والدة الفتاة او اقاربه.

وعلى الرغم من الحصول على موافقة والد الفتاة سأل ادريس قائلاً:-

- وماذا عن المهر الذي يجب ان نقدمه؟

رد والد الفتاة قائلاً:-

- ان مسألة المهر كما نعرف كلنا، خاصة نحن ابناء الجعل هو عربون على الاتفاق الذي يبرم بين اهل الشريكين تحدد فيه كمية من المال، والملابس، وادوات الزينة من عطور وبخور، وما ان يتم الاتفاق ووفقا لمقتضات الشرع الاسلامي. يعلن رسميا عن موعد عقد القران.

واضاف قائلاً:-

- وباعتبار اننا متفقون على ان نعطيكم ابنتنا، فنحن لا يمكن ان نطلب اكثر مما نستحق، واننا نترك تقدير ذلك للعلاء منا، ويمكن ان نحدده في فترة لاحقة.

وعلى الفور ووفقا لما تتطلبه عادات ابناء السودان وبصفة خاصة الجعليين منهم، وهكذا تم الاتفاق على تحديد يوم الزفاف وقرأوا الفاتحة تأكيدا على الالتزام.

ما ان تم الاتفاق بين الاسرتين، أسرة محجوب الجعلي ودفع الله، حتى اصبح الشغل الشاغل لام العروس، تجهيز ابنتها لليوم الموعود. فهي وبالطبع وعبر مساعدة الاقربين من ات والخالات، وابناءهن خاصة المتزوجات، كانت تقوم يوميا وعلى مدى اكثر من اسبوعين والى حين يوم الدخلة، بفرك جسد العروس بعجينة مصنوعة من الذرة والزيت، وتديكها بأجود انواع العطور المجهزة من المسك والصندل والمحلب وغيرهما. كما قامت بتجهيز العطر الخاص بالعروس والذي يسمى "الخمرة" وهو عطر يتكون من عطورات متعددة، ويغلى بزيت السمسم. وبدأت الاستعدادات بتجهيز غرفة العروس، ومن ان تتم تزينها، حتى بدأت عملية وضع الحناء على قدمي العروس من قبل امرأة متخصصة تسمى "الحنانة". وزينت جدران غرفة العروس بجريد النخيل الاخضر، وتم فرش ارضيتها بالبرش الزاهي الالوان، وعبأت زجاجات الصندالية والحلبيه، وهي مواد مرتبطة بعملية الحناء.

تذكر محجوب الجعلي الجهد الذي بذلته والدته وهي تقوم بتجهيز أخته، الا انه سرعان ماتذكر بان ادريس على عجلة لمعرفة الدور الذي يمكن ان تلعبه أسرة العريس، فقال وهو يحاول الرد على فضول ادريس، بأن عملية التجهيز لا تختصر على اهل العروس فقط، بل ايضا تشمل اهل العريس فهم يقومون بترتيب يوم الزفاف قبل ثلاثة او اربعة ايام، اذ يقومون بشراء الخراف والذرة والسمن، والسكر والعسل. كما تتم عملية وضع الحناء للعريس على انغام الموسيقى الشعبية، التي يرتدي فيها العريس الجلابية والسروال الطويل، وينتعل الحذاء الشعبي التقليدي المصنوع عادة من جلد ثعبان الأصله.

في اليوم المحدد لعقد القران والذي تم في منزل اهل العروس بما يتماشى مع التقاليد والعادات السائدة، نحرت الخراف، وأقيمت مأدبة عامرة احتوت على كمية من اللحوم والخضر. وبعد ان رفعت صفائح المائدة، توجه المدعوون وبصورة مشتركة ومعهم العريس ووالده، وبعضا من أقرباءه الى مسجد القرية القريب من المنزل، وبعد اداء صلاة العصر مباشرة، تم عقد قران ابن محجوب الجعلي.

وما ان عاد الجميع الى منزل العريس حتى تعالت صيحات التكبير، وتغاريد النساء، وصرخات الاطفال، وهم يلتقطون الحلوى والتمر التي تقذف في الهواء، والكل فرحا بذلك.

ما ان تم تجهيز العروس والباسها ثوب الرقص المصنوع لليلة الدخلة، تم تزينها بالحلي الذهبية. وتمت تغطيتها بثوب من القماش الاحمر، وتعطرت ودفعت للجلوس بجوار عريسها. وما هي لحظات حتى صدحت الموسيقى الشعبية الى ان قارب الليل منتصفه. بعدها تم اخراج العروس مع عريسها وتوجهها كلاهما مباشرة الى بيت الزوجية في موكب كبير لف العديد من الاهل والاصدقاء، ليفترق بعد ذلك الجميع كل الى منزله، متمنين للزوجين حياة سعيدة، ويتركانهما ليمارسا حقهما المشروع بعد انتظار طويل.

وجاءت الليلة الموعودة التي انتظرها قاسم بفارغ الصبر وهي ليلة الدخلة. ففي هذه الليلة سوف يتم اختبار رجولة قاسم، بل يذهب البعض للقول بانها ليلة يتم فيها اختبار فحولة الرجل. اما بالنسبة للفتاة فهي ووفقا لما يروى لها فانها ليلة الآلام المبرحة والعذاب المستمر حتى بزوغ الفجر. الا ان توقعات كلا الزوجين لم

تكن صحيحة، فقاسم تمكن ودون اي عائق من قضاء حاجته بفض بكاره عروسه، اما العروس فقد زال خوفها والرهبه التي اعترتها بعد انقضاء الحاجة بأمن وسلام، بإستثناء ظهور بقع من الدماء التي تناثرت فوق الثوب الأبيض الذي فرش لهم.

وبانتهاء هذا اليوم السعيد يوم زفاف قاسم محجوب الجعلي إقتربت ساعة الرحيل فودع ادريس صاحبه محجوب على امل اللقاء في مناسبة سعيدة اخرى.

عانت إثيوبيا ولازالت من العديد من التحديات والاشكالات. وهي ومنذ عصور سحيقة لم تتخلص حتى يومنا هذا، من تأثير عوامل العبودية التي فرضت عليها في العهد الكهنوتي، والمجاعات الطاحنة، والتخلف الاجتماعي والاقتصادي، وصراعات القوميات والإثنيات العرقية المتعددة.

وامام حالات الكبت وقمع الحقوق تلك، كان من الطبيعي ان تقوم نخبة مختارة من ضباط وقيادات الجيش الاثيوبي، وبصورة خاصة وحدات الحرس الامبراطوري، بالسعى الى محاولة قلب نظام الحكم الاوتوقراطي في نهاية العام 1960م. الا ان تلك الحركة الانقلابية لم يكتب لها النجاح. اذ تمكن الامبراطور هيلي سيلاسي من اعادة سيطرته على مقاليد الامور، وذلك لحصوله على دعم بعض القطاعات العسكرية للجيش الاثيوبي، والناجون من مذبحه الأسرة الامبراطورية الحاكمة واعوانهما، والمتنفذين في الكنيسة الارثوذكسية الاثيوبية، بالاضافة الى بعض قادة الاتجاهات السياسية الارترية المرتبطين بالنظام الامبراطوري من امثال رئيس الوزراء الارتري أسفها ولدميكايل، وبعض قادة الشرطة الارترية وعلى رأسهم الجنرال تدلا عقبيت وغيرهم من المتعصبين الامهريين.

ولم تمر الايام إلا وبدأت الاخبار والاشاعات بفشل المحاولة الانقلابية على أسد يهوذا الامبراطور هيلي سيلاسي تنتشر في السودان عامة وفي مدينة كسلا تحديدا. كما بدأت اعداد غفيرة من ذوى النفوذ المناوئين للامبراطور بالتدفق الى السودان، وتمتلئ العديد من فنادق السودان في مدن القصارف وكسلا والخرطوم وغيرهما بالفارين من جحيم جبروت وطغيان النظام الحاكم في اثيوبيا.

اراد ادريس ومعه بالطبع صديقه محجوب الجعلي معرفة تفاصيل الحدث الانقلابي الذي وقع في اثيوبيا، والذي انعكس في السودان. فلم يكن لهم من بد سوى اللجوء الى احد معارفهم وهو شخص كان متعاطفا مع الحركة الاستقلالية السودانية، كان ولازال يعمل كضابط متمرس في إحدى شعب الاستخبارات السودانية ويدعى جعفر صالح. وعندما علموا بانه لازال في بيته توجهوا اليه وهم فرحين، وما ان تبادلوا تحية السلام التقليدية السودانية معه، حتى اندفع محجوب ليقول:-

- اننا مهتمون كما تعلم اخي جعفر بالتطورات في ارتريا، وكذا بالاوضاع السياسية في اثيوبيا. ولا نخفي عليك بأننا اقربنا بان نلتقي بك علنا نجد منك المعلومة التي قد تفيدنا في عملنا الموجه لصالح قضية شعب ارتريا.

ارتاح جعفر صالح لثقة محجوب وادريس به وصراحتها. فهو وباعتبار انه عسكري محترف يخدم في جهاز أمن حساس، فان الواجب يحتم عليه عدم نشر اي معلومة تتعلق بدول جوار السودان. ومع ذلك، ولمعرفته بصدق نوايا صديقيه محجوب وادريس، لم يتحرج في كشف بعض من المعلومات التي يريدانها خاصة ما يتعلق بالوضع المضطرب في اثيوبيا، فقال:-

- انا شخصيا من المتعاطفين مع المجموعة الانقلابية التي قادها الجنرال منجستو نواي. وكنت ارى ولازلت بان اثيوبيا التي يهيمن عليها النظام القائم سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، تستحق دعم المؤيدين لحق تحرر الشعوب، خاصة تأييد التحرر من الانظمة الملكية المتسلطة مثل النظام الحالي في اثيوبيا.

ومواصلة حديثه قال:-

- كان الانقلابيون وعلى رأسهم الجنرال منجستو نواي من الضباط والعناصر المثقفة التي تتحسس آلام ومعاناة شعوب اثيوبيا، وبالتالي فان ما رفعوه من شعار ازالة نظام الحكم الملكي، واستبداله بنظام شعبي ديمقراطي، كان يحذى بقبول ورضى العديد من ابناء اثيوبيا خاصة المثقفين منهم.

تدخل محجوب الجعلي ليقول:-

- لاشك وباعتبار اننا من المهتمين بالقضايا السياسية، خاصة قضايا الشعوب المجاورة لنا وعلى رأسها قضايا اثيوبيا وارتريا، فقد سمعنا بحدوث انقلاب عسكري في اثيوبيا قامت به وحدات من الحرس الامبراطوري. إلا اننا لم نكن نعلم بان الانقلاب سوف يسيطر عليه بأسرع وقت ويتم وأده، بهدف اعادة الحكم الملكي في اثيوبيا...

فهم جعفر صالح ما يريد محجوب الجعلي فهمه فقال دون لبس:-

- لا اخفي عليكم، فالقيام بانقلاب عسكري في اثيوبيا ضد طاغية مثل الامبراطور هيلي سيلاسي، لم يكن بالأمر الهين. فلم يكن احدا من المحليين ومدعى المعرفة يتوقعون ان يقوم الجيش، خاصة وحدات من الحرس الامبراطوري، بانقلاب في اثيوبيا لمحاولة اسقاط النظام. ولكن الذي حدث هو ان الجنرال منجستو نواي سبق الكل في تحديد طبيعة هدفه الذي تمثل في ازالة او كنس اي اثر او تأثير لنظام الحكم الملكي الاثيوبي. فأسرع أولا وقبل كل شيء بإعتقال كل من كان مشاركا في الحكم سواء من وزراء او مستشارين، او ضباط عسكريين، او مدراء اقسام الوزارات، او الكهنة وكبار القساوسة، ومنتفذي الكنيسة الارثوذكسية، وكل من كانت له صلة بعيدة او قريبة بنظام الامبراطور هيلي سيلاسي. وما ان احس بوجود تحرك مناوئ لحركته من قبل بعض ضباط الجيش المؤيد للامبراطور، حتى قام بتصفية كل من اعتقلوا. وقد كانت هذه هي احدى الصفعات التي وجهت للحكم الملكي الاثيوبي منذ عصر الامبراطور تيدروس<sup>(1)</sup>.

واضاف قائلاً:-

- منجستو نواي هو احد القادة العسكريين البارزين في اثيوبيا، وكان يؤمل من خلال قيامه بانقلاب عسكري انقاذ الاثيوبيين من سيطرة اباطرتهم سواء اكانوا من الملوك ام رؤساء الكنائس الارثوذكسية.

---

(1) الامبراطور تيدروس هو احد أباطرة اثيوبيا المشهورين، والذي قيل بانه وجه مسدسه نحو صدره ليخر صريعا، حتى لا يقع في أسر مناوئيه الاوروبيين في القرن التاسع عشر.

تدخل ادريس الذي كان مهتما لمعرفة تفاصيل الثورة الانقلابية الاثيوبية عندما سأل قائلاً:-

- ماهي الاسباب التي ادت الى فشل المحاولة الانقلابية للجنرال منجستو نواي؟

قدم جعفر صالح اكواب الشاي لضيوفه وبعد ان تناول واحدة منها قال:-

- سؤال مهم ووجيه. فالأسباب لفشل الانقلاب عديدة، البعض منها ذاتي اي مرتبط بعامل داخلي

يتعلق بطبيعة الاوضاع السياسية في اثيوبيا، وتنافس مراكز القوى فيها، وآخر خارجي مرتبط

بالدعم الذي وجهه نظام الحكم عندنا (2) للإمبراطور هيلي سيلاسي.

تدخل محجوب الجعلي بدوره دون ان ينتظر الإجابة الكاملة او الشرح الوافي لجعفر صالح فيما يتعلق

بأسباب فشل انقلاب منجستو نواي فسأل قائلاً:-

- انا شخصيا لم افهم ماذا تعني بالعامل الذاتي، ومراكز القوى والتنافس، والدعم الخارجي، فبربك

أرجوا افادتنا، فنحن كما تعلم لسنا خبراء بالشأن السياسي؟

ضحك جعفر صالح، وهو الذي لم يكن يضحك في الغالب ان لم يكن يكشر الي درجة اخافة الناس،

وعلى الفور قال:-

- كان المعارضون للانقلاب كثر الى درجة صعوبة حصرهم، فقد كانت هناك أولا وقبل كل شيء

الطبقة السياسية الحاكمة المؤلفة في العادة من كبار قادة الجيش، وقادة الكنيسة، والوزراء وهؤلاء

لم تكن لهم بالقطع اي مصلحة تربطهم بالانقلابيين، بقدر ما كانت مصلحتهم مرتبطة

بالامبراطور هيلي سيلاسي. بالاضافة الى ذلك كانت هناك طبقة من المنتفذين في ارتريا تمثلت

في رئيس الوزراء الارتري، والجنرال تدلا عقبيت قائد الشرطة الارترية الذين لم تكن لهم اي

مصلحة معينة في معارضة الامبراطور وتوجهات الانقلابيين، بقدر ما كانوا يسعون الى استغلال

مايتمتعون به من نفوذ تجاه الامبراطور وتجييره في صراعاتهم الداخلية مع العديد من الاقطاب

الارترية. وقد كان من الطبيعي ان يقف هؤلاء ايضا ضد الحركة الانقلابية وقادتها. ومن هنا فقد

تمكن كل هؤلاء سواء في اثيوبيا او ارتريا من تهيئة الاجواء لاستقبال الامبراطور في اسمر، الذي

مان وصلها حتى قام بترتيب صفوف عناصره واعوانه لمواجهة الانقلابيين وهذا هو الذي تم في

النهاية، وساعد على فشل الانقلاب.

واضاف جعفر صالح قائلاً:-

- اما العامل الخارجي فقد تمثل في الموقف الرسمي السوداني لنظام الجنرال ابراهيم عبود. فهو كان

يرى في الامبراطور حليفا قويا يمكن ان يستعين به في صراعه السياسي مع اقطاب وزعماء

مؤتمر الخريجين، وقادة الاحزاب التقليدية سواء كانوا في الحركة المهدية او الميرغنية او

(2) يقصد نظام الجنرال ابراهيم عبود.

الاتحاديين بكافة مشاربيهم واتجاهاتهم. بالاضافة الى ذلك الدعم الغير مشروط التي تلقاه الامبراطور من قبل الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى.

إستأذن ادريس للتحدث فقال:-

- ما ان حدث الانقلاب، ونحن نتابعه عبر وسائل الاعلام الاثيوبية والسودانية والاجنبية، خاصة ماتنتشره هيئة الاذاعة البريطانية. وانا شخصيا ومن خلال متابعتي للاوضاع في اثيوبيا وتطوراتها، فانني وبالرغم من تعاطفي مع الانقلابيين فإنني كنت أشك في صدق نواياهم تجاه قضية شعبنا الارتري.

واضاف:-

- لم نسمع مطلقا بإستثناء البيانات التي كانت تصدر من اذاعة اديس ابابا، والتي كان الانقلابيون يهاجمون فيها الامبراطور واسرته ويتهمونه بالفساد والافساد، دون ان يتطرقوا ولو بكلمة حق تجاه ما يجري في ارتريا والانتهاكات التي تمارس فيها. ولم يكن همهم سوى انجاح خطتهم الانقلابية، وكأن ماكان يجري في ارتريا لا يعينهم من قريب او بعيد.

اخذ محجوب الجعلي ناصية الحديث ليقول:-

- نعم وعلى الرغم من تعاطفنا مع الانقلابيين والمطالب التي رفعوها، فإننا كنا نتوجس منهم، لما لهم من علاقات مشكوكة بأولئك المعادين للحق الارتري، وحتى مع بعض مؤيدي ومناصري النظام الملكي الراضين جملة وتفصيلا اي حق لارتريا.

اراد جعفر صالح التركيز على الوضع في اثيوبيا، محاولا الابتعاد قدر الامكان من التطرق لما هو حاصل في ارتريا فقال:-

- نعم لقد فشل الانقلاب. ومع ذلك فقد كان في حد ذاته درسا بليغا عبر بصدق عن امكانية ان ينفذ اي مغلوب على امره ويواجه جلاديه ومستعبيديه بشجاعة واصرار كما حدث في اثيوبيا. وهناك ايضا شئ آخر اود التطرق اليه بهذه المناسبة، وهو ان الانقلابيين خاصة القادة منهم كانوا مضربا للأمثال في الشجاعة والاقدام. فهم كانوا يرفضون بصورة مطلقة التجاوب مع نداءات الامبراطور هيلي سيلاسي التي اصدرها في الخرطوم واسمرا، والتي كان يحث فيها الجنود وقاداتهم الانصياع للنظام والمحافظة على الامن وحماية عرش الامبراطورية. بل كانوا يرفضون حتى التفكير في الاستسلام للنظام الامبراطوري.

ما ان انهى جعفر كلامه حتى تدخل ادريس مستفسرا:-

- كيف تم للامبراطور الاسراع والنزول في مطار اسمرا؟

النتفت جعفر نحو محجوب وكأنه يريد الأذن للتحدث فقال:-

- كان مسؤولو النظام الاثيوبي في اسمرا وعلى رأسهم بالطبع رئيس الحكومة الارترية اسفها ولدي ميكائيل، والجنرال تدلا عقبيت، وعلى الرغم من انهم من اصول ارترية، كانوا من مناصري



ومؤيدي النظام الاثيوبي الامبراطوري. ولقد لعبت العديد من الشخصيات في اسمرأ في ذلك الوقت ادوار فاعلة وكبيرة سهلت عملية عودة الامبراطور الى بلاده عن طريق مطار اسمرأ.

واضاف قائلاً:-

- ما ان حطت طائرة الامبراطور في مطار العاصمة اسمرأ، حتى رحب به لفييف من المسؤولين وعلى رأسهم رئيس الوزراء وقائد قوات الشرطة الجنرال تدلاعبيت، ورئيس وراعي الكنيسة الارثوذكسية ومن بينهم القس ديمطروس، وآخرون من كبار رجالات الدين الاسلامي، وقادة ل السياسي من رؤساء الاحزاب والتنظيمات السياسية السابقين. وعلى الفور قام الامبراطور ومن قصره في اسمرأ باجراء العديد من الاتصالات بأنصاره واعوانه في المقاطعات الاثيوبية لكي يقوموا بالانتفاض على الانقلابيين.

الا ان ادريس اراد فهم المزيد من الحقائق، خاصة وان الفرصة متاحة للتحدث بصورة مباشرة بالسيد جعفر صالح فقال متسائلاً:-

- كيف يمكن ان لا ينجح انقلاب منجستو نواي وهو الذي ما برح والى حين سقوطه ينادي ويحث الشعب للوقوف معه من اجل التغلب على الامبراطور هيلي سيلاسي؟ فهل هناك اخطاء ارتكبت بخصوص ذلك؟

تدخل جعفر للرد قائلاً:-

- من السابق لاوانه اجراء تحليل دقيق لما جرى في اثيوبيا في وقتنا الحالي. لكن ودون ادنى شك فقد ارتكب الانقلابيون سلسلة من الاخطاء التي كان بالإمكان تفاديها وتجاوزها. يمكن ان اذكر مثلاً، تركيز نشاط الانقلابيين في العاصمة اديس ابابا دون الالتفات الى اهم عواصم المقاطعات الاثيوبية، وعدم بذل الجهد الكافي لاثارة المواطنين من عمال وفلاحين ومثقفين، وعدم القيام بتنظيم الوحدات العسكرية التي كانت ترابط في المناطق الاثيوبية المختلفة، وبصفة خاصة عدم الاهتمام بصورة كافية بقوات الحرس الامبراطوري المتمركزة في ارتريا. كما لم يقم قادة الانقلاب بتحييد الكنيسة في صراعهم مع الامبراطور الذي كان يعتبر نفسه الرئيس الاعلى للكنيسة الارثوذكسية. كما ان الانقلابيين لم يسعوا الى اثاره العاملين في الحقل الحكومي ودوائر الاعمال الخاصة.

واضاف بعد ان احس بالاطمئنان لوجود ادريس ومحجوب معه، فأراد ان يفضض مافي قلبه مظهرها عطفاً ملحوظاً تجاه المجموعة الانقلابية فقال:-

- قلة هم الذين يتعاطفون مع الامبراطور. فمعظم الشعوب والقوميات الاثيوبية، وايضا العديد من المقاطعات مثل هرر وجيما وغيرهما لم تكن ترتاح للامبراطور ونظامه. فهم كانوا ولا زالوا يعادونه من منطلقات متعددة البعض منها ذو طابع قومي مثل الموجود في الاورومو، والارتريون،

والبعض الآخر ذو بعد طائفي مثل الصراع بين الكنائس من ناحية وبين اتباع الديانتين الاسلام  
والمسيحية في العديد من مناطق اثيوبيا.

تأثر محبوب الجعلي بما سمعه، ومن اجل الوصول الى الخلاصة طرح سؤالاً يفيد:-

- ماذا حدث بعد ان تبين بفشل الانقلاب؟

رد جعفر صالح مختتما حديثه بالقول:-

- انتهى انقلاب الجنرال منجستو نواي بالفشل. اذ تم القاء القبض على العشرات بل المئات من

افراد الوحدات العسكرية الاثيوبية، وعلى رأسهم بالطبع الجنرال منجستو الذي قتل بل اعدم بعد ان

ادين من قبل محكمة صورية، كما تم اصدار حكم الموت شنقا او رميا بالرصاص على العديد

من الانقلابيين.

وهكذا اسدل الستار على ابرز حدث اريك الواقع السياسي الامبراطوري في نهاية الستينان.

## (6)

يؤمن الارثريون بأن الموت حق يتوجب الرضا والقبول به. وهم يسعون الى التقليل قدر الامكان بالتمسك بالحياة التي يصفونها بـ "الفانية"، ويفضلون انتظار الموت وهم قريروا العين، دون ان يتركوا لاولادهم واسرهم ما يستحق دفعه من ديون او دية لم تدفع.

والارثريون يحترمون بل يقصدون موتاهم خاصة اذا كانوا من كبار المشائخ، او زعماء القبائل او عقلائهم. وفي المآتم تبدا عليهم امارات الحزن الشديد عندما يداهم الموت احدهم دون سابق انذار. خاصة اذا كان المتوفي صغيرا في ر او في ريعان الشباب.

ومن ابرز عادات مراسيم الموت خاصة في المنخفضات الارثرية هو قيام النساء دون الرجال بالحنين والوعيل، ويهلن التراب على رؤسهن، ويحلقن شعورهن، ويرقصن بالسيوف، ويرتدين ملابس المتوفى من اقربائهن. اما الرجال فيكتفون بتعزية بعضهم البعض على ما اصابهم من جمل، وبقراءة بعض ما تيسر من آيات الذكر الكريم خاصة سورتي "يسن" و "الكرسي".

ما ان إنتشر خبر وفاة احد اقارب ادريس حتى تقاطر الناس على الدار بهدف الاستفسار من شخصية المتوفي واسباب وفاته . وكان اول الواصلين بالطبع هو صديق ادريس، محجوب الجعلي الذي سأل وهو يوجه نظراته الحادة الى ادريس:-

- من هو المتوفي؟

رد ادريس وامارات الحزن بادية عليه:-

- البقية في حياتك ... الوالدة ملوك عبدالقادر.

رد محجوب الجعلي بصوت جهوري إلى درجة انه لفت انظار القادمين اليه قائلاً:-

- إنا لله وإنا إليه لراجعون!

علم القوم بان جلا اصاب ادريس، وتأكدت عبر الهمسات التي كانت متداولة بان والدة ادريس هي التي توفيت.

وعلى الفور توجه محجوب الجعلي دون ان يستأذن الى سوق البهائم، واشترى خروفا سواكنيا. وعلى الفور وما ان دخل حوش الدار حتى قام بذبح الخروف. وما هي لحظات حتى قدم منصور ابن ادريس حاملا معه قفة الخضار <sup>(1)</sup> وسلمها لوالدته.

---

(1) قفة وتعني باللهجة السودانية المحلية، وفي العديد من مناطق ارتريا بالزنبيل، والذي هو عبارة عن سلة او وعاء مصنوع من ليف وسعف النخيل، يستخدم في نقل مختلف الأغراض الشخصية بما فيه الخضار.

شاهد ادريس زميله محبوب وهو يتحدث مع بعض الافراد وهو يقول:-

- ان من الضروري الاسراع بتجهيزسرداق العزاء.

فأستدعى ادريس صاحبه محبوب للاستفسار عن ما يقوله فقال:-

- ما هو سرداق العزاء الذي نتحدث عنه؟

قالها ببراءة الغير عارف، وعلى الفور اجابه محبوب الجعلي قائلاً:-

- البكاء عندنا في السودان هو مايعرف بالمأتم عندكم. اما سرداق العزاء فهو المكان الذي يقام فيه

تقبل العزاء. وان مهمة تجهيزه تترك في العادة للجيران.

وقبل ان ينتصف النهار فرغت النساء من تجهيز جثمان السيدة ملوك عبدالقادر، وفقا للشريعة الاسلامية على المذهب اهل السنة الحنفي، وهو مذهب تتبعه العديد من قبائل التجري في ارتريا. وقامت بعضهن خاصة الكبيرات في السن بغسل الجثمان، بينما بعضا منهن كن ينتحبن ويبعدن مناقب الفقيدة، وتنتثر بعضهن التراب على رؤوسهن. بينما كان الرجال يتلون بعض يات القرآن الكريم، في حوش الدار. وما ان فرغ النسوة، قام الرجال على الفور بحمل الجثمان، وأدوا عليه صلاة الجنازة، وتوجهوا به رأسا الى مقبرة المدينة، لتتم فيها عملية الدفن بصورة سريعة، ويعود الكل مجددا الى بيت ادريس.

ما ان عاد الجميع من المقبرة حتى لاحظ محبوب الجعلي بان بعضا من قريبات السيدة ملوك عبدالقادر لازلن يرقصن وهن يحملن السيوف، وينثرن التراب على رؤوسهن. ومع ذلك لم يهتم بما كان يجرى امامه، بل انصب تركيزه على تقبل العزاء جنبا الى جنب مع صديقه ادريس.

لاحظ ادريس اختلاف طريقة العزاء السودانية عن نظيرتها الارتية. ففي ارتريا وبعد ان يقام الفراش والذي يعرف ايضا بالمأتم، وهو لا يتم عادة الى بعد الانتهاء من صلاة المغرب او العشاء، حتى يتجمع الرجال ويجلسون على ارضية المنزل مشكلين بذلك حلقة دائرية تضمهم جميعا، وهم يتلون بعضا من آيات الذكر الحكيم، وبصورة خاصة آية "يسن". بعد ذلك يقوم الرجال الواحد تلو الآخر بالسلام على احد اقرباء المتوفي ويطلبون له الصبر في مصابه، ويدعون بالرحمة والمغفرة للفقيد. اما في السودان فان القادم للعزاء وقبل القاء التحية او حتى الجلوس، يرفع يديه الى الاعلى، ويقول بصوت مسموع كلمة "الفاتحة"، فيقوم باقى الحضور بالرد عليه قائلين ايضا "الفاتحة" ويقرؤون في سرهم صورة الفاتحة، ويدعون للمغفور او المغفورة بالرحمة والمغفرة، وينصرف كل واحد منهم من حيث اتى.

وبينما كان ادريس صارحا في التفكير تجاه طريقة أداء العزاء، شاهد زميله محبوب الجعلي وهو يوزع أكواب الشاي والماء البارد على الحاضرين. كما لاحظ في نفس الوقت مظاهر الحزن وهي تغطي على القادمين للتعزية، وماهي سوى لحظات حتى سارع من اتى في البدء بالمغادرة بعد ان قرأ بصوت مسموع صورة الفاتحة.

وفي صباح اليوم التالي تقدم محبوب الجعلي من ادريس وقال له بصوت منخفض، وكأنه يخشى ان لا يسمعه احدا من الحاضرين:-

- لقد جمعنا لك بعض الاموال من الجيران!
- استغرب ادريس اذ لم يكن يتوقع او حتى يعرف لماذا يجمع له الجيران المال. إلا ان محجوب الجعلي استدرك للأمر فقال موجهها كلامه بصورة مباشرة:-
- من عادات اهل السودان، خاصة اهلنا الجعل هو جمع ما تيسر من المال من الجيران وتقديمه لصاحب المتوفي، وذلك من اجل المساعدة لتغطية نفقات منصرفات المأتم. وإن ابدى واحدا من الجيران التهرب من القيام بواجب المساهمة المالية، فإنه يتعرض لسخرية ومعابة كل الجيران. وواصل حديثه اذ قال:-
- ولا يختصر جمع المال على الرجال فقط بل تشمل عملية الجمع حتى النساء بما فيهن كبار السن.
- زاد إستغراب ادريس للأمر ولم يكن له من بد سوى القول:-
- اشكرك جزيل الشكر على المساعدة التي قدمت لي وانا ممنون لكم جميعا.
- استمرت مراسيم الوفاة ثلاثة ايام وعاد الجميع كل الى عمله والسعي لكسب رزقه اليومي.

(7)

ما ان اعلنت اثيوبيا ضم ارتريا الى امبراطوريتها والغاءها النظام الفيدرالي في 14/11/1962، حتى اندلعت الاحتجاجات والمظاهرات في العديد من الارترية، من ابرزها مدن اسمرا، كرن ومصوع. وكانت النتيجة الزج بالمئات من الارتريين في غياهب السجون والمعتقلات الاثيوبية.

التقى عمر اسماعيل الذي اتى للتو من ارتريا ولم يمضي عليه في كسلا اكثر من يومين، التقى بالصدفة بادريس محمد صالح في مقهى محجوب الجعلي. وكالعادة وبعد السلام والتحايا، وقبل قدوم ما طلب من شاي وماء بارد، قال ادريس:-

- خير يا عمر ماذا اتى بك الى هنا، الى كسلا؟

ويكل ثقة رد عمر قائلاً:-

- الازدحام في البلاد مضطربة للغاية، وكادت الاحتجاجات والاضرابات وحتى الاعتصامات في دور العبادة، في الأديرة والكنائس والمساجد، وخالوي القرآن، تعم بل تشل الحياة العامة في ارتريا. وكانت نتيجة كل ذلك ووفقا لملاحظات العديد من الناس، امتلاء السجون والمعتقلات بالعديد من ابناء ارتريا.

حاول ادريس الاستفسار قائلاً:-

- هل الحياة قاسية الى هذه الدرجة؟ قالها باستغراب.

رد عمر:-

- الحياة اكثر من قاسية، فقد تعرضت شخصيا للضرب والاهانة من قبل رجال البوليس والمباحث العامة الذين ما انفكوا يضربونني بالعصى الغليظة، ويستخدمان الجياد الجامحة لتفريق الناس بل حتى دهسهم بحوافر الخيل. ليس هذا وحسب بل تعرضت ايضا للاعتقال مثلي مثل الكثيرون من ابناء ارتريا، دون اي ذنب اقترفته سوى مساهمتي في المظاهرة التي خرجت من قزا برهانو<sup>(1)</sup> التي طالبنا فيها بحقنا في رفض ضم ارتريا الى اثيوبيا.

وفجأة قدم محجوب الجعلي، الذي رحب بدوره بالضيف الجديد، وبدون اي مقدمة قال والابتسامة باينة على وجهه:-

- ارجوا ان لا تكون افرغت كل ما كان لديك لآخي ادريس؟

قالها بصورة محببه موجهها كلامه لعمر اسماعيل.

وماهي لحظات حتى رد عليه عمر قائلاً:-

- لا عليك فأنا لم افرغ مافي جعبتي، فالوقت لازال مبكرا.

<sup>(1)</sup> قزا برهانو هو احد الاحياء الشعبية في العاصمة الارترية اسمرا، وهو مثله مثل العديد من الاحياء الشعبية مكنظ بالسكان.

واضاف مواصلا حديثه:-

- اصيب العديد من الناس بصدمة الاعلان عن ضم ارتريا الى اثيوبيا، فالكثيرون حتى اولئك الذين كانوا في فترة من الفترات من مناصري اثيوبيا، اصابوا بالصدمة، لأنهم لم يتوقعوا ان تقدم اثيوبيا على ضم بلدهم، بقدر ما كانوا يتصورون ان يكونوا ندا للاثيوبيين، من خلال اعتبار انفسهم الأفضل ثقافة والأكثر قدرة على تجاوز ما يعاني منه الاثيوبيين من تخلف في كافة نواحي الحياة.

تدخل ادريس ليسأل:-

- كيف ينظر الناس للخلاف الذي بدأ يدب بين جبهة التحرير الارترية وحركة تحرير ارتريا خاصة في مثل هكذا ظروف؟

تتحنح عمر اسماعيل قليلا، ودون ان يبالي:-

- حقيقة لادري ماهو الحاصل بين الطرفين. ولا أدري ايضا طبيعة الخلاف الذي يتحدث عنه الناس. وعلى كل حال فان حالة الانقسام والتشردم في الوسط الارتري سوف تكون لها انعكاسات سلبية على مستقبل تطور ل السياسي الارتري الملوح اذ لم يتم تداركها في القريب العاجل.

تدخل محبوب الجعلي وهو يريد صرف النظر عن التطرق حول الخلاف الارتري - الارتري فقال:-

- بماذا تفسر كثافة الانشطة التي تقوم بها عناصر الشرطة الارترية التي بدأت اخبارها تتسرب وتنتشر بصورة واسعة؟

حاول عمر اسماعيل التطرق لهذه المسألة مجددا فقال:-

- تفيد الاخبار بان بعض من منتسبي الشرطة الارترية والذين هم اعضاء في حركة تحرير ارتريا ايضا، قاموا بحركة غير متوقعة وغير مألوفة، وذلك عبر قيام بعضهم بالتوجه الى الريف القريب من مصوع وهو يحملون كافة اسلحتهم وذخائرهم التي تبين لاحقا بانهم استولوا عليها من احد مخازن شرطة مدينة مصوع، وذلك تعبيرا لرفض عملية ضم ارتريا الى اثيوبيا وكنوع من الاحتجاج.

واضاف قائلا:-

- وقد تمكن الجاويش محمد سعيد شمسي الذي كان مسؤولا عن مخزن السلاح في مركز بوليس مدينة مصوع، بتفريغ محتويات المخزن والاستيلاء عليه، بالتعاون مع العديد من عناصر البوليس الذين كانوا اعضاء في حركة تحرير ارتريا. من ابرزهم قمحط ادريس، احمدين اسماعيل، ابراهيم آدم والتوجه بما استولوا عليه من ذخائر واسلحة الى الريف.

اهتم محبوب وايقضا ادريس بما سمعاه، وبدأ عليهم الاهتمام اكثر لمعرفة المزيد من تفاصيل عملية الاستيلاء.

فقال عمر اسماعيل:-

- تمكن الذين استولوا على احد مخازن بوليس مصوع الساخطين على تزدى اوضاع البلاد، من الفرار الى الريف مستخدمين شاحنة صغيرة، ويقال انها عربية تاكسي لاحد المتعاونين مع البوليس، ويرجح انه عضو في حركة تحرير ارتريا، ليصلوا دون اي عائق يذكر الى منطقة تعرف بأرافلي، التي ما ان وصلوها حتى اشتبكوا مع قوة من رجال البوليس الذين كلفوا بمتابعتهم والقبض عليهم واعادة ما استولوا عليه من اسلحة وذخائر. والمعروف هو ان الفارين لم يتجاوز عددهم الستة او السبعة اشخاص الا انهم تمكنوا من انزال اكبر الخسائر بالقوة المطارة، ويتم استشهاد احد ابطال تلك لية وهو الشهيد قمحط ادريس، وتبعثر المجموعة كل في اتجاه مختلف.

كانت عملية خروج رجال البوليس من مصوع عملية جريئة يعود الفضل لنجاحها لاستبسال وتضحية بعضا من منتسبي حركة تحرير ارتريا. وقد كانت لية في حد ذاتها صفقة كبيرة لسلطات الاستعمار الاثيوبي. اذ اوضحت مدى قوة الرفض الارتري للوجود الاثيوبي الغاصب. كما انها أكدت على امكانية القيام بعمليات مشابهة للالتحاق بجمال وارياف ارتريا رغم انوف الاثيوبيين.

وكان الرد الاثيوبي على فشل القبض على رجال البوليس الارتريين الذين استولوا على اسلحة وذخائر اثيوبيا همجيا، وتمثل في التتكيل بالابرياء تحت حجة انهم تعاونوا وارشدوا من وصفوهم "بقطاع الطرق" وهم الذين كانوا يخدمون ويحمون شعبهم من التسلط الاثيوبي الجائر. ودع عمر اسماعيل مضيفيه متمنيا لهما الصحة والسلامة.

التفت محجوب الجعلي نحو ادريس وقال:-

- السؤال الذي يراودني باستمرار والذي لم اجد له الجواب الوافي، هو لماذا تعجل رجال البوليس الذين كانوا في مصوع للخروج الى الريف؟ ولماذا لم يتم التنسيق بينهم وبين مجموعة حامد ادريس عواتي؟ خاصة وان منطقة المنخفضات الارترية الغربية كانت مهيئة لاستقبال المزيد من الثوار او الرافضين للوجود الاستعماري الاثيوبي في ارتريا؟

اهتم ادريس بتساؤلات محجوب الجعلي واراد ان يدلوا بدلوه حين قال:-

- من الصعب جدا التأكيد هل كانت هناك علاقة عمل او ترابط او احساس بين حامد عواتي ومجموعة بوليس مصوع التي تعرضت لهجمة السلطة الاستعمارية الاثيوبية؟. بل يمكن ان يقال، وفقا للاشاعات المنتشرة، بان حركة تحرير ارتريا كانت تبذل جهودها من اجل ايجاد علاقة عمل معينة بحامد ادريس عواتي، فأرسلت له العديد من الخطابات والاشخاص للبحث عنه وتقصي حقيقة مايقال عن وجود عواتي في ارياف منطقة بركة.

واضاف قائلا:-

- من الطبيعي والمنطقي جدا ان يكون هناك تعاطف جماهيري واضح تجاه من حمل السلاح لمواجهة المستعمر الاثيوبي، لكن لم يكن من المفهوم ان يخرج بعض الجنود لمواجهة الجيش



الاثيوبي، دون ان يكون هناك اي استعداد من اي نوع، ودون ان يكون ايضا هدف معروف ومحدد خرج عواتي ورفاقه من اجله.

ودون تردد قال ايضا:-

- لا اقصد اهانة اي كان وبصورة خاصة حملة السلاح أولئك، سواء ممن كانوا في الشرطة الارترية، او كانوا يمارسون حياتهم العادية. بل اقصد لماذا استهان القوم بالوجود الاستعماري الاثيوبي على ارض ارتريا بما يمثله من وجود عسكري وأمني، بدلا من وضع الخطط والبرامج التي تمكن من تحقيق هدف المواجهة. وقد كانت هذه هي بعضا من الأسئلة التي تراودني ولم اجد لها الاجابة سواء من قيادة حركة تحرير ارتريا او جبهة التحرير الارترية، خاصة وان الجانبين كانوا ينشطون وبصورة علنية في العديد من مدن السودان الشرقية.

انتظر محجوب الجعلي ليأخذ نفسا، وفجأة تذكر ما سمعه ليلة البارحة عن بعض الاحداث والتطورات فيما يتعلق بمسيرات الاحتجاج والاضرابات والاعتصامات التي قامت بها الجماهير الارترية الساخطة في العديد من المدن الارترية فقال مسرعا وهو موجها كلامه لادريس:-

- بعد ان انصرفت انت من المقهى ليلة البارحة، اتى الي شخص لا اعرفه من قبل، وبعد السلام والتحايا التقليدية انبري بي جانبا وقال لي بأن صديقا له أخبره "بأن السلطات الاثيوبية قامت بإعتقال العديد من المواطنين بحجة انهم اعضاء في تنظيم حركة تحرير ارتريا، وكانوا يقومون مثل ما تقوم به عصابات الشفتا، من تدمير ونهب الممتلكات وقتل الناس".

واضاف قائلا:-

- لقد ذكر لي ذلك الشخص العديد من الاسماء التي قال "بانها عضوة في تنظيم حركة تحرير ارتريا"، اذكر منها عبدالخالق محمد حسن، سعيد درنكاي، تسفازي هيلي وغيرهم. وقال لي ايضا "بان عدد المعتقلين وصل الى اكثر من مائة شخصا، كما اوضح لي بان الاعتقالات لم تختصر في مدينة ارترية معينة، او في أشخاص معينين، بقدر ما كانت اعتقالات واسعة لم يراعى فيها ابسط حقوق المواطنة".

تدخل ادريس سائلا:-

- هل ذكر لك ذلك الشخص بان من اعتقلوا كانوا من شخصيات معروفة او قيادية في حركة تحرير ارتريا؟

رد محجوب الجعلي قائلا:-

- نعم ذكر لي بأن السلطات الاستعمارية الاثيوبية، حسب تعبيره، "اعتقلت العديد من المشكوكين، كعناصر قيادية من امثال المحامي إسماعيل حاج محمد، والمهندس عبده كرار، والشيخ سراج عبده وغيرهم".

اتفق الصديقان بعد ان احسا بالإرهاق للقاء مرة اخرى وافترقا كل الى حال سبيله.